باب الأخبار والآثار

سيراليون ـ لسائح محب للمنار

قال بعد رسوم المطلب :

إني من الذين قدر الله لهم الاستفادة بالمنار من ابتداء ظهوره وانني أعد انتشاره خدمة مهمة للاسلام فسعيت حتى وجدت له مشتركين في غانبه (كوبت) ثم في فاس ومنذ بلوغي هذه الديار مازلت أشوق الناس الى اقتناء المنار حتى كدت اني أيأس غير أني وفقت أخيراً الى مشترك واحد . ولما جاءتنا المجلة أطلعت عليها كثيرا منهم فوجدوا مباحثها موافقة لاخباري وأخذوا يطالعونها بكل ارتياح رغماً عن قلة معرفتهم بالعربية . ولهذا السبب أرجو ان ستؤثر تعليماتكم المفيدة فيهم لأنهم أحوج المسلمين اليها لفشو الجهل بينهم وتأصل الغباوة في رؤسهم ولانقطاع علائقهم بالشرق الاسلامي لبعد المسافة ولفقدان الحمية الدينية منهم . وبما ان المنار الأغر مشتغل بأحوال المسلمين عموماً فيجب علي اخبار الشيخ أعزه الله بأحوال هذه البلاد مع الاختصار فأقول :

ان عدد السكان في هذا القطر يبلغ ثلاثة ملايين نصفهم أو مايقرب من ذلك على دين الاسلام كما تحققت ذلك في خلال اسفاري في الارياف على انه قبل عصر واحد بالتقريب كان عشر السكان على هذا الدين . وذلك الانتشار السريع لم يحصل الا بعد قلة انسكاترا للبلاد . واما عاصمة القطر (فري تاون) فيبلغ أهل الاسلام فيها عشرة آلاف نسمة وهذا العدد نحو ثلث السكان . والجماعة الاسلامية مركبة من أقوام مختلفة أكثرهم عدداً قوم آكو وهم من الارقاء الذين ركبوا البحر من سواحل لاغوس قبل مائة سنة فأنقذهم الانكليز في الطريق وأسكنوهم هنا في محيين (حارتين ـ فولاتون وفوربى) على ان هؤلاء القوم لايتفقون أبداً فالمداوة متمكنة بينهم خصوصاً أهل فوربي الذين لاتنقطع من بينهم المخاصمات والمشاغبات بحيث ان المحاكم الانكليزية قد ملتهم بسبب مخاصماتهم المستمرة والبعض من أهل هذا الحي لايتقربون الى الجامع لما لهم من العداوة مع اخوانهم . وفي هذه المدينة أربعة جوامع وأربع

مدارس متكاملة واحد منها مخصوص بقوم منهم والمدارس تأخذ اعانة من الحكومة (٢٢٠ ليرة للجميع في السنة) ولما جئت ووجدت طريقة التدريس موجبة في الدرجة القصوى وعرفت انه لا يمكن للتلاميذ ان يفهم شيأ من العربية مهما طالت مدة التدريس صممت على تبديلها بالطريقة السهلة وارشاد معلميهم الى أصول التعليم ولا سيما توجيه نظرهم الى اخلاق التلامذة وسلوكهم السيء ولكني لم أصب آذاناً واعية بل قابلوا اقتراحاتي بالاعراض . ومع ذلك فاني ما يئست ولكن ظللت ناصحاً لهم ملحاً في بيانات حتى اني وفقت الى استمالة بعض الشبان من أهل فولا تون ومنهم ذاك المشترك .

وبعد قراءة فصول المنار أخذت في تفسير مباحثه من دينية واجتماعية وان الطريق التي يرشد اليها المنار هي التي لا زال ساعياً في ادخالهم فيها . على ان اقبالهم على المجلة واحتفالهم اياها هل الاعتبار قد جدد آمالي . وقصدي أن أستمر على وعظهم بالمنار .

وأما أهل فوربي فانهم أعرضوا عني كل الاعراض وصرحوا لي بأنهم لا يرضون ان يسمعوا الوعظ في جامعهم مع ان هذه الايام أيام رمضان ينبغي فيها تكثير الوعظ وتكرير التذكير خصوصاً مع فقدان الوعاظ من جوامع هذه البلاد ولا تسل يا سيدي عما هنا من الامور المخالفة للشرع وللآداب الاسلامية التي يعمل بها عندنا في الشرق أقل الناس ايماناً وأضعفهم اعتقاداً فهؤلاء السودانيون يدينون الديانة الاسلامية على خط مستقيم في أكثر الامور بل فيها جميعاً ولا يريدون التحلي بتلك الآداب المحمدية بل يفضلون عليها عادات أجدادهم المجوس .

وأخبركم أيضاً ان هنا رجلاً من نصارى الزنوج اسمه الدكتور بلايدن اشتهر في انكلترا وأميركا بمعارفه الواسعة وبتدقيقاته العميقة في دين الاسلام وله مؤلفات معتبرة اشهرها (النصرانية والاسلام وجنس الزنوج) فذكر فيه من الخير ما أدعي أنا انه لم يصل الى درجته فيه أحد من علماء أوربا في الاعتراف بمحاسن ديننا وفضائله وله إلمام بالعربية فلذا أسعى في الصلة بينه وبين المنار . وهو يقول في وجوه المسيحيين انهم عبثاً يسعون في تنصير الزنوج لكون هذه البلاد دار الاسلام . ومن الاسف أن لا يعرف العالم الاسلامي هذا الرجل

واحترازاً من التصديع أوجز الكلام فأقول أرجو من سيادة الشيخ ان يكتب بضعة أسطر في أحوال هذه البلاد لايقاظ المسلمين من غفلتهم ناصحاً أياهم أن يتركوا

الطريقة القديمة في مدارسهم وان يدخلوا فيها الكتب النافعة من مصر وغيرها اذ لا يمكن تدريس العربية بلا كتب مع كثرتها اليوم في الشرق وان يصيخوا لنصيحة من يدلونهم على طريق الخير والصلاح . على ان الدجالين يجدون عندهم كل ترحيب واعتبار وهم المغاربة وسكان الصحراء ومعلوم انهم لا يقدرون على نفعهم ولو أرادوا ذلك لكونهم محرومين من جميع أسباب الترقي وفاقد الشيء لا يعطيه كما قال الاستاذ . والمأمول ان حضرة الشيخ سيدي النصيحة لهؤلاء البسطاء المقول كما يسديها لغيرهم لعل الذكرى تكون نافعة لهم .

عدن وبلاد العرب — لسائح محب للمنار

قال بعد رسوم المخاطب :

وقد وصلنا الى عدن منذ عشرة أيام ولم نجد سبيلا للسفر الى حضرموت لعدم مصادفة ركب متوجه اليها والامل أن نصادفه عن قريب . وقد كررنا التوسم في معارفنا بعدن علنا نهتدي لمن يقوم بنشر المنار فلم نجد حكفؤا لذلك الا صاحبنا ..... اذ هو خير الموجودين ويجتمع لديه كثير من أهل عدن يوميا فعسى ان يستفيد بعضهم

وان شئتم الاستعلام عن أحوال أهل هذا الطرف فهم أناس عمهم الجهل وغمرهم ولهم اجتماعات على أكل القات وهو نبت يشبه الشاي مشهور لعله مخدر او مفرح كما قيل لكن من المعلوم انه متلف للمال مميت للوقت اذ يضيع لاحدهم في الجلوس لأكله نحو ثلاث ساعات وهي قريب من ثلث عمره بعد اخراج الاوقات اللازمة للضروريات ويصرف بعضهم فيه يوميا من ثلاث ربيات الى عشر ربيات بلا فائدة ثم انه لا يلذ لهم أكله الا وهم مجتمعون في مكان مظلم وحولهم أباريق الماء يتلمظون به الجرعة بعد الجرعة وأمامهم المداعات (آلات التدخين) وبجوارهم جذور وأصول القات والعشب الذي يلف به ولا يلذ لهم حينئذ الا الكلام المميت الفارغ ان كانوا من الاخيار او الملاعنة والسباب ان كانوا من غيرهم . ومع سخائهم ببذل عصارة أبدانهم — وان شئت فسمها دية أنفسهم — في شراء ذلك النبت النجس تراهم في معيشتهم مقترين وبيوتهم وثيابهم وسخة الا أناس قليلون الا ان معاملتهم سيما مع الغرباء حسنة الامانة ولهم صبر على الضيوف بالنسبة لغيرهم في هذا الزمان . ومعاملة الحكومة الانكليزية للأهالي منها المشكور ومنها المذموم ورئيس كل مصلحة له فيها تمام الاستبداد والقاضي بالمحكمة

الانكليزية رجل فارسي له مدة طويلة وهو في مركزه والاهالي يحبونه ويذكرون عنه رفقا وعدلا ونزاهة والامان فيها مستتب فلا تكاد تسمع بسرقة والآن عندهم برد غير انه حر بالنسبة لغيرهم اذ درجة الحرارة غالبا نحو ٨٦ فهرنهيت أي ٣٠ سنتكراد وأزقة عدن أكثرها وسخ قذر عفن سيما مع المطر اذ نزل منذ يومين مطر بل الارض وغمرها فصار الناس يخوضون في الازقه بالنجاسات والقاذورات الى نصف الساق كأنهم في الجمالية بمصر حتى يجرف الشمس تلك الرطوبات ولذلك ترى الحميات العفنة فيها كثيرة ، وحركة التجارة فيها مشكورة .

والحكومة الانكليزية مهتمة بتوسيع دائرة نفوذها ولها مركز في جهة اليمن يسمى الضالع يبعد عن عدن ١٤٠ ميلا أي مسيرة ستة أيام بسير القوافل ولها فيه نحو ستة آلاف عسكري ولها في عدن وما والاها أكثر من أربعة آلاف عسكري جلهم من الهنود والجمال التي تشتغل بنقل المهمات يوميا نحو أربعة آلاف جمل . وقد أرادت ان تستولي على جهات جبل يافع المشهور فأرسلت أحدا بالسنها الى أمير الجبل المسمى في جهته سلطان الجبل فأطمعه في رشوة كبيرة على دخوله تحت حماية الانكليز واستدرجه حتى وصل به عدن ويوصوله تنسم بعض أهالي الجبل من سكان عدن بعض الاسرار فذهب الى قومه منذراً فاجتمعوا وتم رأي كبارهم على عزل الخائن وإهدار دمه هو ومن ساعده وأقاموا لهم أميرا آخر فلما بلغ هذا الخبر الى عدن ضاق واليها به ذرعا وتحير الخائن ولم يدر أين يذهب . ثم عمل الانكليز على الانتقام من أهالي يافع فأرسلوا شرذمة من عساكرهم التي بالضالع الى جبل شعيب وهو أول حدود جبل يافع وبينه وبين الضالع مسيرة يومين فصمم عرب تلك الجهة على الهجوم على المعسكر ليلا وأنذر بهم الانكليز فانسحبوا راجعين الى الضالع . وربما كان أهل لندن لم يستحسنوا فتح حرب اليمن قبل انتهاء حرب الصومال . والمناوشات بين العرب وعساكر الانكليز مستمرة لا يخلو منها أسبوع غالبا حتى فيما قارب عدن اذ منذ أيام قطع الطريق رؤساء قبيلة تبعد عن عدن نحو ٢٤ ميلا لقطع الانكليز راتبهم عنهم وهو ٥٠٠ ريبة كل شهر وقد تحصن ٤٠ نفسا من العرب في رأس جبل ومعهم بنادق مارتين وخرج اليهم من الهنود مشاة جندي ثم لحقتهم فرقة أخرى نحوهم وبعد المحاربة بضع ساعات انهزم الهنود

وقتل منهم نحو أربعين منهم ضابط انكليزي وجرح كثيرون منهم كبير تلك الفرقة وقتل من العرب تسعة نفر ويقال ان الحرب ستجدد عليهم

والحروب مستمرة في سواحل حضرموت وقد أمد الانكليز أمير المكلا بنادق مارتين ومدافع قدموها له مع أحد بواخرهم الحربية أما جيش أمير المكلا بقيادة ابنه الذي قدمه الى جهة حجر في أوائل رجب فقد عاد منهزما لان البدو كمنوا له في بعض تلك الجبال وصارت بين الفئتين مناوشة طفيفة انسحب بسببها جيش صاحب المكلا غير ان الخسائر من الطرفين لا تذكر . ولم يزل أمير المكلا يحشد الجنود وقد اجتمع له نحو أربعة آلاف رجل للحملة على حجر واجتمع نحو ستة آلاف من البدو للدفاع عن أوطانهم وأتى وفد من السادات للصلح بين الفريقين وستكون الحرب أو الصلح وهو الاقرب في أثناء رمضان

وأما أخبار الصومال فهي كثيرة جدا لكن لم أثق بصحتها فلا أتعبكم بقراءتها ومن مجموعها يفهم ان الانكشارات تمردت على الانكليز وان جنود المكلا أو الزرادكية جدا وعنده بعض ذخائر وسلاح لا كما تزعم الجرائد نقلا عن المصادر الانكليزية .

أما اليمن التركية فحالتها تعيسة جدا ولا بد ان يكون بلغكم ما فعل بعض قبائل عسير وانهم غدروا بسبعة طوابير (*) صغار من الترك فقتلوهم الا نحو ثلاثين نفرا تمكنوا من الهرب والسبب في ذلك طغيان الترك وظلمهم المكرر وعدم الانصاف واذا لم تتنبه الحكومة التركية فانها تتسبب في اهلاك الرعية والعساكر والبلاد والمال

(المنار) : قد ذكرنا بعض الانكليز هنا في مسألة تمديهم في جهة عدن على العرب مع شدة بأس العرب وعدم أمن من يدخل بلادهم من الفتن والثورات الدائمة فقال انا نعلم هذا حق العلم ولا رغبة لنا في فتح شيء من تلك البلاد وانما جل قصدنا ان تكون عدن في أمن دائم من العرب وكل ما يكون هناك من المناوشات فسببه اعتداء العرب والمدافعة ضرورية لا بد منها وهي لا تقف عند حد معلوم

(تصحيح) في السطر الرابع من الآيات الكريمة في الصفحة الاولى (٨٣٩) من الجزء الماضي (شاكر عليم) والصواب (واسع عليم) فيجب تصحيحها بالخط

(*) الطابور في العرف التركي فرقة من العسكر نحو ٨٠٠ أو ألف ويظن انها تركية ولكن في شرح القاموس ان (التابور) بالتاء جماعة العسكر